الدرس: 91

الأستاذ: الشيخ محمد تقى الشهيدي

المبحث: حجية قول اللغوى

التاريخ: الاثنين 4 ذيقعدة الحرام 1445 ه.ق

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين و صلى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين ولعنة الله على اعدائهم اجمعين

فى حجية قول اللغوى والاجماع المنقول

كلام من السيد السيستانى حول عدم حجية قول اللغويين

بالنسبة الى حجية قول اللغوى ذكر السيد السيستانى دام ظله على ما تقرير ابحاثه فى قاعدة لا ضرر صفحة 172:

أن الكتب االلغوية ليست معدة لإعمال الخبروية فى تشخيص المعانى اللغوية. فذكر أن النهاية لابن اثير جزء مهم منها تجميع لجمع من الكتب و ليس من كلامه هو. و أما لسان العرب لابن منظور، فهو و إن كان كتابا جامعا، الا أنه أيضا ليس الا تجميعا لعدة كتب لغوية كتهذيب اللغة للازهرى و الصحاح للجوهرى و نقد الصحاح لابن برى و المحكم لابن سيدة الاندلسى و النهاية لابن الاثير. و قد صرح بذلک مؤلفه فى مقدمة كتابه، كما صرح بأنه ليس مسئولا عما فى الكتاب.

يقول: ليس لى فى هذا الكتاب فضيلة أمت بها و لا وسيلة أتمسک بها سوى أنى جمعت فيه ما تفرق فى تلک الكتب من العلوم، فمن وقف فيه على صواب أو زلل فعهدته على المصنف الاول لأنى نقلت من كل اصل مضمونه و لم ابدّل منه شيئا حتى يقال إنما اثمه على الذين يبدلونه، بل أدّيت الامانة فى نقل الاصول بالنص.

و اما الدر النثير للسيوطى، فهو أولا مختصر نهاية ابن الاثير و قد اضاف على ذلک اضافات قليلة.

و اما تاج العروس للزبيدى فالظاهر أنه اخذ ما ذكره من النهاية إما مباشرة أو بتوسيط لسان العرب أو الدر النثير، فإنها جميعا من مصادره.

و اما مجمع البحرين، فهو ايضا ذكر عين عبارة النهاية فى المقام و قد صرح فى المقدمة بأنها من مصادره، و بذلک يتضح اولا:

أن ذكر هذا الرأى فى كلمات هؤلاء (يعنى رأى فى تشخيص معنى لغة) لم يكن عن التزام به من قبلهم جميها بل كان ذكر اكثرهم لذلک على سبيل النقل ولو احتمالا. و ذلک أن اكثر الكتب اللغوية شأنها تجميع الكلمات و الاقوال، كالجوامع الحديثة.

و ثانيا: إن اصل هذا التفسير فى مفهوم الضرر و الضرار ينتهى الى كلامين، أحدهما تهذيب اللغة و الثانى الغريبين، و المتأخرون أخذوا عنهما.

فهذا يعنى أن نقول يصعب الاعتماد على كتب اللغة حيث لم يعلم بأن المؤلف حتى لو كان من اهل الخبرة اعمل خبرويته فيما ذكره، بل لعله اعتمد على غيره و جمع كلمات الآخرين.

فالاحتجاج بقول اهل اللغة ضعيف لعدم حجية اقوالهم فى حد انفسها على ما اوضحناه فى علم الاصول.

هذا كلام السيد السيستانى دام ظله.

الاجماع

يقع الكلام فى الاجماع المنقول بالخبر الواحد

جرت عادة الاصوليين قبل البحث عن حجية خبر الواحد أن يبحثوا عن حجية الاجماع المنقول بخبر الواحد، مع أن الانسب أن يبحثوا أولا عن حجية الاجماع المحصل، فإذا ثبتت حجيته فحينئذ يبحثون عن حجية الاجماع المنقول. يعنى يبحثون عن حجية الخبر الواحد الحاكى للاجماع المحصل.

والبحث عن الاجماع المحصل و حجيته خارج عن مباحث حجية الامارات الظنية، لأن الاجماع المحصل إن كان مفيدا للقطع بالحكم الشرعى، فحجيته من باب حجية القطع، و إن لم يكن موجبا للقطع بالحكم الشرعى فلا دليل على حجيته.

و كيف كان، ينبغى أن نتكلم اولا عن حجية الاجماع المحصل ثم نتكلم عن حجية الخبر الواحد الحاكى للاجماع المحصل والذى يعبر عنه بالاجماع المنقول.

حجية الاجماع المحصل

العامة ذهبوا الى حجة الاجماع المحصل. يقول الشيخ الانصارى هم الاصل له و هو الاصل لهم. الاجماع الذى اقترحه هم العامة كى

يصححوا بذلک مذهبهم، لأنهم يستدلون على مذهبهم باجماع المسلمين على خلافة فلان و فلان. هل التاريخ يؤيد ذلک؟ تشخيص هذا المطلب راجع اليک.

ادلة العامة على حجية الاجماع

إستدل العامة على حجية الاجماع بادلة لفظية من الآيات و الروايات:

اما الآيات:

استدلالهم بآية المشاقة

فمنها قوله تعالى: "فمن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم و سائت مصيرا".

فيقال بأن مفاد هذه الآية العقاب على اتباع غير سبيل المؤمنين. و من الواضح أن التعبير بسبيل المؤمنين لا يعنى سبيل المؤمنين بلا استثناء منهم بحيص لا يشذ عنه حتى فرد واحد. إن هذا شيء لا يتحقق عادة، فظاهر سبيل المؤمنين سبيل اغلبية المؤمنين. فإذن هذه الآية لو تمت دلالتها فتكون نتيجتها لزوم اتباع طريقة اغلبية المسلمين و عدم الشذوذ عنها و لا علاقة لها بحجية اجماع الفقهاء.

الجواب عن الاستدلال بهذه الآية

و كيف كان، فيرد على الاستدلال بهذه الآية الكريمة أن من المحتمل أن يكون العقاب على مجموع مشاققة الرسول و اتباع غير سبيل المؤمنين. يعنى أن من يخالف الرسول و يشذ بذلک عن سبيل المؤمنين لأن سبيل المؤمنين هو متابعة الرسول، فمن يخالف الرسول و يشذ عن سبيل المؤمنين أى السبيل الذى ينبغى لهم سلوكه أو كانوا يسلكونه فى زمان النبى صلى الله عليه و آله، فهو مستحق للعقاب.

و من البعيد جدا أن يأمر الله سبحانه و تعالى على نهج القضية الحقيقية باتباع سبيل اغلبية المسلمين فى كل زمان بنحو القضية الحقيقية.

فإذن الاشكال الاول على الاستدلال بهذه الآية الكريمة أن من المحتمل أن يكون قوله تعالى و يتبع غير سبيل المؤمنين عطفا تفسيريا لقوله و من يشاقق الرسول. أى يتبع غير سبيل المؤمنين فإن سبيل المؤمنين ليس هو مشاققة الرسول. بل سبيلهم متابعة الرسول.

و ثانيا: لو فرض أن العقاب على كل من مشاققة الرسول و اتباع غير سبيل المؤمنين، فمن المحتمل جدا أن يكون المقصود من سبيل المؤمنين السبيل الذى الله سبحانه و تعالى شرّعه للمؤمنين، و المؤمنون

بما هم مؤمنون يسلكون هذا السبيل. لا سبيل المؤمنين على نهج القضية الى يوم القيامة و يكون المراد منه ما يسلكه اغلبية المؤمنين فى أى زمان ولو لم يكن سلوكهم ناشئا عن الدين و عن الايمان. هذا بعيد جدا.

كيف و ظاهر قوله تعالى "و ما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم" ظاهر هذه الآية الكريم أن بقاء المؤمنين على سبيل الحق لک يكن مضمونا، و الا لما قال الله سبحانه و تعالى أفإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا. و قد أخبر الله سبحانه و تعالى عن قلة عدد المؤمنين و أن اكثر الناس لا يؤمنون، لا يشكرون.

و هذا التفسير موجود فى كلام الغزالى، يقول: الظاهر من الآية أن من يقاتل الرسول و يتبع غير سبيل المؤمنين فى متابعة الرسول نوله ما تولى.

فهذه الآية الكريمة لا تدل على حجية الاجماع.

المراد من اغلبية المؤمنين فى الآية

اضيف الى ذلک مطلبا آخر و هو أنه: لو فرض دلالة هذه الآية الكريمة على أن من يخالف سبيل اغلبية المؤمنين فهو يستحق العقاب، ليس

المراد من الاغلبية الاغلبية الكمية المتشكلة من الهمج الرعاء. هل يصدق سبيل المؤمنين على سبيل ليس فيه على عليه السلام و لا فاطمة سلام الله عليها و لا الحسنين عليهما السلام و لا الاصحاب الخواص للنبى كسلمان و أبى ذر و عمار و مقداد. السبيل الذى ليس فيه على و لا فاطمة و لا سلمان و لا ابوذر ولا عمار و لا مقداد، بل الطلقاء و ابناء الطلقاء هم الذين يكونون ائمة و قادة لذلک السبيل هل ذلک السبيل سبيل المؤمنين؟ متى يصدق عليه سبيل المؤمنين، حتى لو قلنا بأن مفاده سبيل اغلبية المؤمنين. ليست الاغلبية ناشئة عن الكمية فقط. الكميات التى تشكلت من همج رعاء يميلون مع كل ريح بل لابد أن تتشكل من كيفية عالية و اشخاص مميزين.

الاستدلال بآية خير أمة

الآية الثانية: قوله تعالى "كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله و رسوله".

فيقال: عبّر الله سبحانه و تعالى عن الامة الاسلامية بأنهم خير أمة. و لا تكون أمة خير أمة الا إذا كانت اغلبيتها فى طريق الحق.

الجواب عن الاستدلال بهذه الآية

اولا: ورد فی تفسیر القمی أن قرائة الصحیحة لهذه الآیة الکریمة: کنتم خیر أئمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنکر. فقال کیف یکون خیر أمةٍ أمةٌ قتلت امیرالمؤمنین و الحسن و الحسین علیهم السلام. فعلی هذه القرائة تکون الآیة هکذا: کنتم خیر أئمة اخرجت للناس. و خوطب بها اهل البیت علیهم السلام. "و جعلناهم أئمة یهدون بأمرنا و أوحینا الیهم فعل الخیرات".

و ثانیا: ظاهر هذه الآیة أن الأمة الاسلامیة خیر أمة حسب الاطار المحدّد من قبله تعالی إذا علمت الامة الاسلامیة بما شرّعه الله لهم فهم یکونون علی سبیل النجاة. نعم هم خیر أمة لأن الله منّ علیهم فارسل الیهم رسولا من انفسهم یتلو علیهم آیاته و یزکیهم و یعلمهم الکتاب و الحکمة. و لکن هذا لا یعنی أنهم عملوا بما قاله النبی لهم. لا یظهر من هذه الآیة اکثر من أن التشریع الالهی للأمة الاسلامیة خیر تشریع یتضمن الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر. خیر تشریع للأمة الاسلامیة فلأجل هذا هم خیر أمة. لم یهمل أمرها.

و لا یستفاد من هذه الآیة الکریمة أن استقامة الامة الاسلامیة علی الحق مضمونة الی یوم القیامة.

هذا مضافا الى أن هذه الآية لا تدل على عدم خطأ الامة الاسلامية. أكثر شيء مع غمض العين عن الاشكالات السابقة اكثر شيء أنهم لا يقعون فى ضلال، لا أنهم لا يقعون فى خطاء كى يكون اجماعهم كاشفا عن الحكم الشرعى.

و المهم أن استفادة استمرار الامة الاسلامية على منهج الحق مخالف لما ورد فى كتب الفريقين عن النبى: أنه ستفترق أمتى بعدى اثنين و سبعين فرقة واحدة منهم فى الجنة و الباقون فى النار.

و هكذا ورد فى الروايات: أن المسلمين يتلون بما ابتلى به بنواسرائيل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. و لو أنهم يعنى ولو أن بنى اسرائيل دخلوا جحر ضب لدخلتموه حذو النعل بالنعل و القذة بالقذة. و لا اشكال فى أن الله سبحانه و تعالى يحكى عن بنى اسرائيل أنهم تيهوا و ضلوا ضلالا بعيدا. نقضوا ميثاقهم، قتلوا انبيائهم، قتلوا الذين يأمرون بالقسط من الناس. و هذا ما نشاهده اليوم.

و هكذا المسلمون بعد النبى، قتلوا ذرية النبى، ما خلّوا جريمة الا وارتكبوها، هل هذه الأمة تبقى على نهج الحق؟

فإذن لا يستفاد من أية آية قرآنية أن المسلمين يبقون على الحق و اغلبيتهم لو كانوا فى جهة فتلك الجهة مصيبة و ليست مخطئة.

و بقية الكلام فى الليلة القادمة إن شاءالله.

و الحمد لله رب العالمين.